ويختلف الباحثون في النقد بسبب اختلافهم في الفهم والتفسير وتقدير معنى الحوادث فتأتي كتاباتهم متفاوتة ، ولا يمكن ان يحتكر احدها صفة الحقيقة وهي كلها تعطي للتاريخ الحركة والحياة • والمعيار الاخر ان يكون المؤرخ ذا عقل مرتب منظم كي يستطيع ان ينسق انواع الحقائق ويربط بينها ، والسير بمقتضى هيكل محدد يرسم الاسلوب والمنهج ، ويجعل واضحا في ذهن القارىء الاتجاه العام الذي يتبعه ويغير ذلك تختلط الحوادث امام المؤرخ ويعجز عن الربط بينها • واخيرا تتحدد قيمة التاريخ المكتوب بناء على بعد الباحث عن التحيز ومطابقته للواقع والحقيقة التاريخية بقدر المستطاع ، احيانا يتأثر الباحث باتجاه معين ، فيكتب وهو يحاول اخضاع الموضوع لرأيه ، فالكتابة التي يتعمد فيها المؤرخ ان يتخذ اتجاها معينا ، لا يمكن ان يعد ما جاء بها معبرا عن الحقيقة التاريخية ، وعلى المؤرخ ان يكون امينا فلا يخفي الوقائع التي قد لا يعرفها غيره ، او التي قد لا ترضيه ، ولا ريب ان الكشف عن عيوب الماضي واخطائه تفيد الى حد كبير في السعي الى تجنب عوامل الخطأ في الحاضر ، وعدم الكشف عنها يعد تضليلا عن المصلحة الوطنية ولا يمكن ان يكتب التاريخ بغير التوصل الى الوقائع الصحيحة •

ترى ما هي المحاولات العربية الجادة في السنوات العشر الماضية لتسجيل تاريخ حركة النضال الفلسطيني في فترة الانتداب استنادا الى المصادر التاريخية الاولية ؟ والى اي حد التزمت بالمعايير السابقة او خرجت عنها ؟ عديدة هي الكتب التي عالجت القضية الفلسطينية في عهد الانتداب كله ، او في فترة محددة منه ، وقليل منها قد انفرد بتسجيل حركة النضال ، اذ غالبا ما ابرز هذا النضال عبر بحث عام يعالج السياسة البريطانية والمخططات الصهيونية • وعند مناقشة الكتب التي الفت وظهرت مؤخرا يمكن ان نستشف منها اتجاهات ثلاثة : فاتجاه يتميز بالدقة والموضوعية والحياد يعرض الحقائق المستقاة من مصادر اولية في تسلسل دون ان يحاول ان يتخذ منها موقفا ، ويترك التحليلات وابداء الاراء والتقييمات والاحكام• وهناك اتجاه يتميز برنة الانبهار والتمجيد ويتعمد الانفعالات والعبارات الانشائية وغالبا ما يفتقر الى العمق اذ يتميز بالضحالة • واخيرا هناك موقف من لا يستطيع ان يتجرد من ارتباطاته وقناعاته الفكرية ، فيخضع الحقائق لرأي واتجاه مسبقين ، ويحاول ان يربط التطور السياسي بالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية ، وبتعبير اخر يمكن ان نسمي الاتجاه الاول الحيادي والاتجاه الثاني الاعتذاري والثالث الانتقادي التحليلي•

ويمكن ان نضرب مثلا على الاتجاه الاول كتاب الدكتور عبد الوهاب الكيالي (تاريخ فلسطين الحديث) ويرتكز المؤلف فيه ارتكازا اساسيا على وثائق الحكومة البريطانية السرية بثقة زائدة رغم استعانته بمواد ارشيفية اخرى كالوثائق الصهيونية السرية والمصادر العربية الاولية المتوفرة • وفصول الكتاب معروضة بطريقة تتفق مع احداث سياسية بارزة متبعا داخلها نظام الفقرات التي قد تفقد البحث احيانا صفة التكامل • ويتناول المؤلف تاريخ النضال ببعده السياسي فقط ويفتقر الى تخصيص فصل او أكثر لدراسة البنية الاجتماعية والاقتصادية رغم أنها كانت تمر عابرة ضمن الوثائق المعروضة في بحثه للصفة العائلية والشخصية للقيادات السياسية او تأثير الهجرة الصهيونية على بنية المجتمع او في المحاولات العربية لتطوير القدرات الذاتية • والكتاب في سرده لحشد هائل من الحقائق المتسلسلة يتجنب عملية الانتقاء •

حتى لو تناقضت الوثائق او تكررت ، ويترك ابداء الاراء والتقييمات والاحكام الى صفحات الكتاب الاخيرة التي تحدد بنظرة عميقة مكثفة المفاهيم والخطوط العامة التي الف الكتاب بقصد ابرازها •